العطر العودي

فرع الدراسات وخدمة التراث

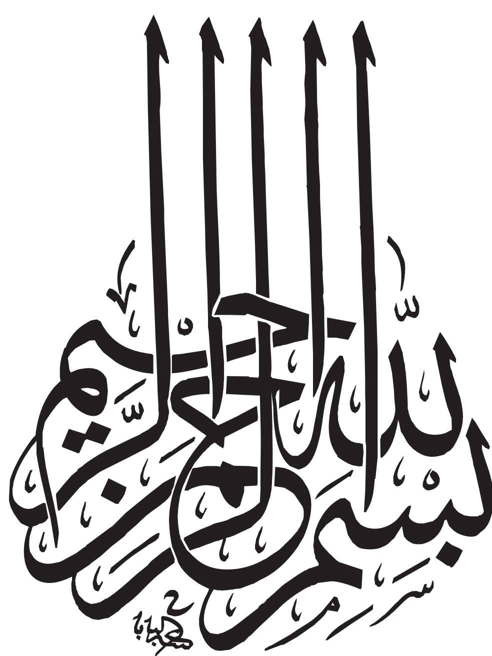
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

# العطر العودي

# في ترجمة

# الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

غلاف داخلي


بسم الله الرحمن الرحيم

# المطلع القرآني

﴿ أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ الليلِ ساجِداً وقائماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ ويَرْجُو رَحمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْ تَوِي الَّ ذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ . إنّمَ ا يَتَ ذَكَّرُ أُولُ و الأَلباب . قُلْ يا عِبادِ الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ للَّذينَ أَحْسَنُوا في هذهِ الدُّنيا حَسَنَةٌ وأَرْضُ اللّه واسِعَةٌ إنّما يُوَفىَّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسابٍ ﴾ .

[الزمر: ٩-١٠]

لسان الحال..

---

يا إخوان.. مَن جَدَّ وَجَد ، ومَنْ جاهَدَ شَهِد، ومَنِ اتَّقَى ارتَقَى، ومَنْ زَرَعَ حَصَدَ ، واللَّه قَرِيبٌ مجُيبٌ .

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

(( عرائس الوجود )) ص٥٢

# الإهداء

إلى سُلالاتِ الشَّيخِ سَعيدِ بنِ عِيسَى العَمُودِيّ..

وإلى المُتَطَلِّعِينَ حَقّاً إلى نماذِجِ السَّلَفِ الصالح، غيرَ مُغالِينَ ولا مُكَذِّبينَ..

أُهْدِي هذه الترجمة..

وأهيبُ بالسُّلالة، ممَّنِ اطَّلَعَ على هذِهِ الأمثلةِ، أَنْ يَتَّقِيَ اللّه في لُحومِ الصُّلَحاء.. أئمةِ الطَّرِيق.. وشُيُوخ الفَرِيق.. وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على مَناخِرِهِمْ إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟

المُؤَلّف

## المدخل

الحَمْدُ للّه غايَةَ الحَمْد، وله المِنَّةُ والفضلُ الـ ـذي لا ينقطـ ـع، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ الأمِّيِّ القائلِ: (( مَن حَمَى مُؤْمِناً من منافقٍ – أراهُ قال – بَعَثَ اللّه لَهُ مَلَكاً يَحمِي لَحَمَهُ يومَ القيامـ ـة مِن نارِ جَهَنَّم، ومَن رَمَى مُسْلِماً بشَيْءٍ يُرِيدُ به شَيْنَةً حَبَسَهُ اللّه عَزَّ وجَلَّ على جِسْرِ جَهَنَّمَ حتى يَخَرُجَ ما رَماهُ ))، وعلـ ـى آلِـ ـه الأطهار، وصحابتِه الأخيارِ، وعلى التابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم القرار .

## النسبة المباركة

هو الشيخ سعيد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن شـ ـعبان بـ ـن عيسى بن داود بن محمد بن أبي بكر بن طلحة بن عبد اللّـ ـه بـ ـن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليـ ـه وآله وسلم[1] .

---

(١) أشارت بعض كتب التاريخ والتراجم إلى نسبة المشايخ (( آل العمودي )) وصلتهم العرقية بالخليفة الصديق، وكما جاء في الأثر : (( الناسُ مؤتمنون على أنسابهم ))،

لقب بالعمودي لما كان رحمه اللّه مكثراً للصلاة والقيام ومحافظاً عليها، إذ هي عماد الدين، وأفضلُ قُرَبِ العَبْدِ في حالةِ المُناجاةِ، بل

---

وسلفنا الصالح حسب ما اجتمع لديهم من أدلة يقولون بهذا، فقد صرح الإمـام الحداد رضي اللّه عنه في نَبْذَةٍ كتبها عنه أحدُ تلامذته بعد زيارته لدوعن، ومنها مدينة « بضَة » قال فيها : وطلعنا بضة واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم، إلى أن قال في وصف من لقيهم – ومنهم المنصب المعروف بـ « بوستّ » – قال : وهو والي منصب آل العمودي، وسمي «بوستّ» لأن له في كل يد ست أصابع، لأنه شبيهٌ بعبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصـديق رضي اللّه عنهم ؛ لأنه جدُّهم، وينتسبون إليه على ما ذكره بعض سـاداتنا آل باعلوي نفع اللّه بهم، وقد حقَّق هذا القول المنسوب للإمـام الحـداد السـيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه « الشامل »، فقال : وأول ما ذكـره الشـيخ محمد بن يس عن الحبيب عبد اللّه الحداد عند ذكر الشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن بوستّ، وانتساب آل العمودي إلى سيدنا أبي بكر الصديق.

وقوله : « على ما ذكره بعض ساداتنا آل أبي علوي » فمرادُه بالبعض السيد الشريف عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران ابن عبد الرحمن السقاف، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام، وما بينهما مـن اطلاعـاتٍ روحية، ذكر منها أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسـى العمـودي، وسأله عن نسبه، فذكر له سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق، والقصة أطول ممـا ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعض أشياخ آل العمودي . انتهى مـن « الشـامل » ص١٦٦ .

وَرَدَ في الحديث، كـ . «رأسُ الأَمْرِ الإسلامُ، وعَمُ ـودُهُ الصـ ـلاةُ » فسُمِّيَ الشيخُ سعيدٌ لذلك «عمودَ الدين »مِن حيثُ اصطلاحُ أهلِ جِهَتِه بنقلِ «العماد » إلى «العمودي» .

## ميلاده ونشأته

وُلد الشيخ سعيد بن عيسى بوادي دوعن[1]، ونشأ تحت رعاية أبويه على شَظَفٍ من العيش، وزُهْدٍ في مظاهر الحياة، مع حسـ ـنِ عنايةٍ بالتربية الدينية وأعمال الخير، وكانت التربيةُ الروحيةُ في حياةِ الشيخِ سعيدٍ محصورةً في التلقِّي والمجالسة، إذ رُوِيَ أنـ ـه لم يـ ـتعلم القراءة والكتابة منذ الصبا ؛ إلا أن مصاحبةَ الشيوخ ومجالستهم لم تَفُتْهُ و لم يتخلَّفْ عنها قَدْرَ جُهْدِه وإمكانه، ممَّا صَـ ـقَلَ فطرتَـ ـه.. وأشعَلَ فِكرتَه.. وقَدَحَ صافيَ مِشكاتِه.. كما جَعَلَ لـ ـه في قلـ ـوب العباد الصالحين مكاناً.. أحيا في جوانحِه ببركةِ القرب منهم وكثرةِ

(١) « دوعن » من لفظ « إيدعان »، وهو اسمُ جدٍّ قبيلة الصَّدَف، ولما تكرَّر عـ ـى الألسنة تَصَرَّفُوا فيها بالزيادة والحذف، وينقسم الوادي إلى قسمين : الأيمن مدينة الخريبة وما بعدها، والأيسر مدينة الدُّوفة . انتهى من « الشامل » ص١٣٥.

دعائهم ونظرهم مشاتلَ الفكر والذكر والمعرفة باللّه .

فهو الناشئُ المستقيمُ الذي نَبَتَ عُودُه بين مساجد القرية ومجالِسِ صالحِيها، في عصر الزهد والتقلل من قليل الحياة المتاحة في ذلك الوادي الوعر.. الوادي الذي كان في أساسه مَنْأَى المتفرِّغينَ للطاعات، المبتعدين عن مظاهر الحياة .

وكم انفرد الشيخ سعيد بن عيسى في سفوح تلك الجبال الجرداء، يلاحق أغنامه بين حسك الشجر.. ونتوءات الحجر.. ناظراً لجلال القدرة الإلهية في طبيعة المخلوقات، ومستجيباً لنداء الفطرة الإيمانية فيما يَقْرَؤُهُ بعَينه وينظرُه بقلبه من أسرار هذه المكنونات، وهكذا تفجرت ينابيع الحكمَة، وانطلقت قيودُ الهِمَّة، ترفع الإرادةَ البشريةَ إلى مقتضى الأخذ بالمجاهدة والمكابدة، وإطلاق اللسان بالذّكر، والجَنان بالشّكر.. حتى صار الناس يسمعون من لسانه حُلْوَ الكلام.. وطيبَ السلام.. ويَجِدُونَ عنده بَلْسَماً شافياً لجِراحِ القلوب.. وأَلَمِ الذُّنُوب، بل كان يُسْمِعُهُمْ مِن لَطِيفِ إشاراتِ الفهم.. ومدلولاتِ رَمْزِ الاسمِ والرَّسم.. ما لا يعهدونه في الأشباه والأمثال.. وفوق هذا صار له نورٌ يتجلّى على الجبين.. ينكسرُ به عُنُقُ المتكبرين.. ويضعف أمامَه طُغيان المتجبرين..

ويهتدي بسرِّ ظهورِه مَنِ استظلَّ بفيئه من الحائرين.. واشتهر أمره بين الناس.. وصار حديثَ المُتَحَدِّثِين والجُلاّس .

وذكرتِ الرواةُ أن الشيخ سعيداً تزوَّج بنتَ الشيخ سعيد بن أحمد بلوعار بلعفيف[1]، ويُذكر أنه لما تزوجها وزُفَّتْ إليه رأتْ منه فترةً عن قيام الليل خلافاً لما سمعتْه عنه، ولما يَذْكُرُهُ به والدها عن حال الشيخ سعيد، وكذلك خلافاً لما عهدتْ عليه والدَها العابدَ الزاهد، فما كان منها إلا أن رَجَعَتْ إلى أبيها من الغد وقالت : كيف أعيشُ معَ رَجُلٍ ما لهُ قيامٌ في ليله؟ فقال لها والدُها : ارْجِعي وانظُري ماذا يفعلُه في ليله من الأعمال والأقوال.

فعادت إليه ومعها من أهلها من يحمل خبرَها إلى والدها إذا لزمها الجلوس، فلما كان الليل راقبتْه حتى طلع الفجر، فأرسلت إلى

(١) الشيخ سعيد بن أحمد بلوعار بلعفيف من كبار رجال القرن السابع الهجري بحضرموت ومن أشهر صلحائها، عاصر جملةً من أكابر الوادي وأخذ عنهم، وفي مقدمتهم السيد سالم بن بصري، وعاش بالهجرين في وادي دوعن، وبها توفي ليلة الخميس الخامس من شهر جماد الثاني ٦٣٢ ودفن بتربتها، ويطلق عليه « مقدَّمُ التربة » كما هو حال الفقيه المقدم في تربة تريم، و لم يحفظ لنا الزمان من آثار هذا الشيخ سوى الدعاء المنسوب إليه وهو متداول في حضرموت، ويقرأ بعد ختم القرآن .

والدها مَن يخبره بخبرٍ ما رأتْ منه، فقالت: إنه إذا قَرُبَ الفجرُ يقوم يصلِّي فيقول : أنا.. أنا.. أنا.. فلما وصل الخبر إلى الشيخ سـ عيد بلوعار أرسل إليها يقول : هذا المقامُ الذي ما وصلنا إليه، إشارةً إل أنَّ مقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي مقام الردِّ على المنادي : «أَلاَ هل مِن تائبٍ ؟ ألا هل من طالبِ حاجةٍ ؟» .

وحَنَّتْ روحُه إلى علمِ الذَّوق والشَّوق، وكانت أخبارُ رجاله في ذلك العصر تأتي بها الرياح، وتتحدثُ عن مشايخ الطريق في الشام وجهات اليمن والحجاز والمغرب والعراق مع كل غُـ ـدُوٍّ ورَواح، فكان الشيخ سعيد يسأل اللّه أن يجمعه بأثبات علم الباطن والظاهر، كي يستمدَّ من فيض مشربهم الزاخر، وظهر النُّور في أشدِّ أوقـ ـات الحرج.

وفي ضُحى أحد الأيام المباركة عام ٥٩٠ بدأ النسيم يحمـ ـل إلى الشيخ سعيد ما حملته الرياح إلى يعقوب، يوم حَكَى اللّه خَبَـ ـرَهُ في الكتاب العزيز : ﴿ ولمـ ـّـا فَصَلَتِ العيرُ قال أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيـ ـحَ يُوسُف ﴾ حيث كان الشيخ عبد اللّه الصالح المغربي متَّجهـ ـاً مـ ـن وادي حضرموت إلى وادي دوعن يحمل رسالته الثانية إلى الشـ ـيخ سعيد بن عيسى العمودي، حيث كان قد أبلغ رسـ ـالته الأولى إلى

الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي في مدينة تريم، وأخذ عليه العهد، وألبسه الخرقة، وأمره بإظهار أمره واشتهار دعوته، فلم يعد الأمر الأخذ بطريق التصوف سرّا، بل صار للفقراء في ذاتِ اللّه شعاراً وفَخْرا .

ويبدو أن خبر الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي قد وصل إلى المغرب عن طريق الحجاز، وأُخبر الشيخ شعيب أبو مدين بحالهما وتوجههما، فما كان منه إلا أن بعث إليهما من يربطهما بمنهج التصوف ومدرسته الأخلاقية، وكان المبعوث أحد المشايخ الحضارمة الذي قد وصلوا إلى المغرب، وأخذوا علمَ الطريق على أبي مدين، وهو الشيخ عبد الرحمن المقعد، الذي أخبره الشيخ شعيب أنه يموت في الطريق قبل أن يصل إلى حضرموت، وأنّ عليه أنْ يستنيبَ عنه رجلاً آخر، وهو الشيخ عبد اللّه الصالح المغربي أحد سلالات ملوك المغرب، وكان رفيقا للشيخ عبد الرحمن المقعد من المغرب إلى الحجاز، فكان الأمر كذلك .

## مبعوث الشيخ أبي مدين في وادي دوعن

وصل مبعوث الشيخ أبي مدين إلى تريم وأدى مهمَّتَه كما يجب، وخرج لِتَوِّهِ متوجِّهاً إلى دوعن ليلتقي بالشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وأخذ يسأل عنه حتى دُلَّ عليه بناحية قيدون في واديها الميمون يرعى الغنم، فذهب إليه واجتمع به، وقد ناهز الشيخ سعيد الثمانين من عمره[1]، وألبسه الخرقة[2]، وأخذ العهد عليه، ودعاه إلى إظهار أمره، ونشر الصوفية بالوادي، وقد كان الشيخ سعيد من قبل لا يظهر التصوف كدعوة وطريقة، وإنما كان يتخلق به سلوكاً وأدباً، وأخبره الشيخ المغربي عن أخذ العهد على الفقيه المقدم.. وإلباسه الخرقة الشريفة.. وأنه قد أبرز نفسه في تريم.. وانطلقت لسانه بالدعوة إلى طريقة الفقر الكامل للّه تعالى.. وترك الرياسات.. وعدم التطلع إلى الفانيات.. كما هو حال المتجردين

---

(١) ذكره السيد علوي بن طاهر في « الشامل » ص٢٢٩ .

(٢) يعني بالخرقة : خرقةَ التصوف، وهي لباسٌ يوضع على المريد، ويرمز إلى تَرَسُّمِ الحامل له بزِيِّ الصوفية والدخولِ في دائرتهم، وغرضُها حصولُ البركة وأخذ العهد بالسند المتصل للخِرقة ظاهراً وباطناً .

وقد استوفينا النقل على الخرقة في ترجمة الفقيه المقدم ضمن هذه السلسلة.

عن الحياة الدنيوية الزاهدين .

وكان الشيخ سعيد على غاية من التواضع والخمول والزهد، لما نشأ عليه من حب الآخرة، وصدق في التجرد لمولاه، فكان هذا العهد والإلباس بمثابة التاج الموضوع على المرء المتهيِّئ للمراتب العالية، فأخذها الشيخ بقوة، ولسان حاله يقول :

لا يُدْرِكُ الذَّوْقَ إلا مَن لَهُ حالُ ... ولا المَقامَ سِوَى مَن فِيهِ إقبالُ

الذَّوْقُ نُورٌ مِنَ العِرفانِ يَقْذِفُهُ الرَّ ... حمَنُ في قَلْبِ صَبٍّ فيه إجلالُ

إلى الحضائرِ في الأوقاتِ مُنْجَذِبٌ ... بحالِه وبها منهُ صَفا البالُ[1]

وبرز الشيخ سعيد منذ تلك اللحظة في ثوب أهل الذوق والشوق.. واحتفل الوادي بقدوم الشيخ عبد اللّه الصالح المغربي، وأظهر الناس الفرح به والسرور بمَقْدَمِه، حتى إن المقام طاب له في الوادي مدةً من الزمن، ثم انتقل إلى وادي ميفعة، وقيل : أقام بقرية «أصبعون» وتزوج بها، وخَلَّفَ بعد وفاتِه بناتاً، صار أمرهنَّ من بعده للشيخ سعيد بن عيسى العمودي حسب وصيته[2] .

---

(١) ديوان «شراب الكأس» للشيخ عبد المحمود نور الدائم .

(٢) ذكره كتاب «عرائس الوجود» ص٢٠ .

ومن عجائب أمر الشيخ المغربي أنه عندما حضرته الوفاة بعث إلى كبار الآخذين عنه، وهم الفقيه المقدم، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والشيخ باحمران، وطلب منه الثلاثة أن يستخلف من بعدهم شيخاً يرجعون إليه، فسكت المغربي طويلا ثم قال: «شيخُكم من بعدي صاحب السبحة»، وقد جعلتُ ميراثي بينكم أرباعاً، وكان ميراثه : سبحةً، وعكازاً، وقِدْراً، ومشعلاً، وحبوةً، وبسطةً، ودلقاناً .

ولما تُوفِّيَ الشيخ وقسمت وصيته جاءت القسمة على النحو التالي :

العكاز والسبحة للفقيه المقدم، القدر والمشعل للشيخ سعيد بن عيسى العمودي، الحبوة والبسطة للشيخ باحمران، الدلق للشيخ باعمر .

ورمزت الوصية التي أوصى بها الشيخ إلى تعيين صاحب السبحة على الجميع فكان الفقيه المقدم، وكان الأمر كذلك، فقد انطوى كبار شيوخ التصوف المذكورين تحت لواء الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، وحصل الائتلاف بين أقطاب الدعوة الصوفية، وحملوا على عواتقهم نشر الطريقة .

## الشيخ سعيد العمودي خزانة آل باعلوي

اِشْتَهَرَ بينَ الناسِ إطلاقُ اسمِ «خَزانةِ آلِ باعلوي» على «آل العمودي» منذ أن تمَّ الاتِّحادُ الروحيُّ بين العَلَمَين الشهيرين، حامِلَيْ لواء المدرسة الصوفية بحضرموت، الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وبهذه الأُلفة الروحية والتحابب الذوقي صار الشيخ رافداً وسنداً لقرارات ومواقف الفقيه المقدم، بل كان القاعدةَ الحِسِّيَّةَ والمعنويةَ لتنفيذِ الفقيه قرارَه بكسر السيف، كرمزٍ للتحول من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في ذلك العهد، إلى طريقة الخمول وترك الرياسات، والاعتناء بديلاً عن السيف بالعلم والعمل، كأساس للفكرة الجديدة، الذي اصطبغ بها توجُّهُه الروحيّ.

ويعود أساس التسمية - كما ذكرها «الشامل» - لما صار إليه من تراثِ الفقيه وسرِّه، وما حازه ببركة صحبته، حتى قال الحبيب جعفر بن أحمد الحبشي في قصيدة مدح بها الشيخ العمودي:

فيه مَكْنُونُ سِرِّنا آلِ عَلْوِي    أَخْبَرَتْنا بذا الثِّقاتُ شِفاها[1]

---

(١) «الشامل» ص٢٣٢، وهي آخر صفحة فيما بقي من «الشامل» بين أيدي الناس الآن.

ولا يعني أن الفقيه المقدم قد نزع بالعلويين إلى الجهل والضَّعَة عندما أخذ بهذا الطريق كما يَظُنُّ بعض الأحفاد الجهلاء، وإنما كان للفقيه هدفانِ أساسيّانِ : أحدهما سياسيٌّ والثاني دينيٌّ واجتماعيٌّ .

**فالهدف السياسيُّ** لَخَّصَه لنا المؤرخ السيد محمد بن أحمد الشاطري في «أدوار التاريخ الحضرمي» فقال : كان الحُكّام السياسيون بحضرموت في عصره، وفيما قبله ينظرون إلى العلويين نظرةً يُنَفِّسُون فيها عليهمُ المكانةَ التي يحتلُّونها في القلوب، ويخشون من شعبيتهم على ملكهم، فيحيطونهم بسياج من الرقابة، ويضيقون عليهم الخناق، نفس ما جرى وما يجري من قبل مع آبائهم وإخوانهم العلويين، من بني أمية وبني العباس والحكام الآخرين، وقد عرف الفقيه المقدم بنفسه كل ذلك في أسرته، فقد اضطُرَّ جدُّه صاحبُ مرباطٍ إلى الهجرة نتيجةً لتلك المضايقة، كما شاهد بنفسه ما لاقاه عمُّه علويٌّ شقيق أبيه من آلامِ السُّمِّ الذي دَسَّهُ له حاكمُ تريمٍ القحطانيُّ، ولهذا فإن تَقَلُّدَ السلاحِ معناه آنذاك في نظر الآخرين المسالمين الاستعداد لهم والمقابلة، ولابُدَّ من الاصطدام يوماً ما بين القِرْنِ وقِرْنِه، ثم بين الأبناء، كما بين الآباء حول وعداوات متوارثة وأخذ بالثأر مستمر، كما هو الواقع بين القبائل، فرأى الفقيه المقدم

البعيد النظر القضاءَ على الشر من جـ ـذوره.. واختيـ ـار طريقـ ـة التصوف المعتدل، وحمل بيده العكاز الذي يرمز إلى التصوف، بدلاً عن السيف الذي يرمز وقتئذ إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والانتقام[1] .

وأما **الهدف الدينيّ والاجتماعيّ** فهو كما بَيَّنَه أيضا الشاطري في «الأدوار» بقوله : ممّا اجتمعتْ عليه المصادر أن الفقيه المقدم نـ ـزع السلاح بل وكسر سيفه، دعا قولاً وفعلاً إلى نـ ـزعه، ليقضيَ على العقيدة القبلية، وبرهن فعلاً على وجوب التعايش السلمي، والأخوَّة الإسلامية والمذهبية والوطنية بين قبائل الشعب وقطاعاته، وعلى أن سلاح العلم والإيمان هو أقوى الأسلحة في المجتمع، وأمضـ ـاها في قيادة الأمة، وتوجهها إلى حياة السعادة والخير والتقدم[2] .

ومن هذا المضمار الحيوي كان موقف الفقيه المقدم موقفاً شجاعاً وهامّاً، وكان أيضا موقفُ الشيخ سعيد بن عيسى في مساندة هـ ـذا القرار لا يقلُّ شجاعةً وأهميةً عن صاحب القرار ذاته . وتشير كتب

---

(١) راجع «أدوار التاريخ» (٢: ٣٠٤-٣٠٥) .

(٢) المصدر السابق (٢: ٣٠٤) .

التاريخ أن أجزاء السيف المذكور كانت محفوظة لدى «آل العمودي» مع بعض آثار الفقيه الأخرى، وقد آلت إليه بوصية من الفقيه المقدم، كما هي عادة الصوفية إعطاء المريد المرشح للمشيخة شيئاً من اللباس أو غيره، كما فعل الشيخ الصالح المغربي، عندما أوصى بتقسيم تركته على كبار الآخذين عنه طريق التصوف، ولازالت هذه البقايا محفوظةً في قيدون إلى اليوم، تحت رعية القائمين على زاوية ومقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.. كمثالٍ ورمزٍ للاتِّصال الروحيِّ بين الإمامين العلمين، هذا الاتصال المعبر عنه بالاتِّحادِ الكُلِّيّ «طريقةً وعلماً وعملاً ومصاهرةً».

كما بينه السيد علوي بن طاهر بقوله: وقد كان آل العمودي وساداتنا آل باعلوي متَّحدِين من سابق الزمان ببركات اتِّصال سيدنا القطب الغوث الفقيه المقدم جمال الدين محمد بن علي باعلوي والشيخ الكبير العارف بالله سعيد بن عيسى العمودي، وحصل لآل العمودي خيراتٌ كثيرةٌ مباركةٌ ظاهرةٌ وباطنةٌ، وحصل لهم حسنُ عقيدةٍ أكيدة، ومصاهرةٌ مؤبَّدةٌ لا تنقطع، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كُلُّ نَسَبٍ وصِهْرٍ يَنْقَطِعُ يومَ القيامةِ إلا نَسَبِي وصِهْرِي .. الحديث» بمعناه، وحصلت لهم اقتباساتٌ من علومه،

واستمداداتٌ من أسراره وفهومه، وأخذ عنه العلم الظاهر والباطن شريعةً وطريقةً وحقيقةً وسلوكاً غالـ ـبُ مشـ ـايخهم وصُـ ـلَحائِهِمْ وصُوفِيِّتِهم ودولتِهم .

وجاء في كتاب «عرائس الوجود»: وأما ما حازه الشيخ سعيد من الاتحاد مع سيدنا الفقيه المقدم في الذرية والأولاد، فمن جملـ ـة ذلك ما حكاه الشيخ العلامة باسودان في «فيض الأسرار» مع مـ ـا شهدت به الأولياء الأبرار، فهو ما استودعه من السر النبوي، بحيث صار «خزانة بني علوي»، فناهيك بذلك مقاماً واحتراماً، ولعمـ ـري إنها لتكفيه تلك المقامات العلية، والنفحات العَلَويـ ـة، إذ اتصـ ـالها بالأخلاق المحمدية، كما يقال له «خزانة آل باعلوي» وهو حَـ ـرِيٌّ بذلك، وحقيقٌ بسرٍّ ما هنالك .

## الطريقة العمودية

يمكن تحديثُ لفظ «الطريقة» لتتلائم مع فَهْمِ جيلِنـ ـا المعاصـ ـر فنسميها «المدرسة»[1] ، وإذا كان جِيلُنا الإعلامي يدرس في كافـ ـة

(١) المقصود بالطريقة هنا هو الأسلوب والكيفية المتبعة لدى الشيخ المذكور وأمثالِه في

مراتب دراسات الهيكل التعليمي العالي منهاجَ عِلْمِ النَّفْسِ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة وهَلُمَّ جَرّا، ويتأثر بنظريات المدرسة الديكارتية والبافلوفية، وآراء روث وجان جاك روسو، ومن نحا نحوهم من شيوخ المعارف المؤثرة على المدرسة الحديثة.. المدرسة التي يتخرج منها حَمَلَةُ الشهادات بأنواعها.. إذا كان الأمر كذلك فإننا لابد أن نعلم أننا عند دراستنا للتصوف بواقعيةٍ وإنصافٍ ؛

---

تسليك المريدين، وترتيب وظائف عاداتهم وعباداتهم حتى يتخرجون على يديه، وكثيرٌ من المغرضين يحلِّلون ألفاظ الصوفية بأسلوبٍ يتَّسم بالتمويه والتعتيم، لما في نفوسهم من آثارها، وإلا فالأمر واضحٌ كلَّ الوضوح لمن أراد معرفة الحق وأهله، فترى كثيراً اليوم ممّن يعيب على الصوفية تقسيم المراتب الإسلامية إلى شريعة وطريقة وحقيقة، ويذهب المتنطعون بألفاظهم وفهومهم في هذا التقسيم كل مذهب، ويرهقون أذهانهم في ابتكار التهم المحرجة لهم أمام اللّه، والتهم المحرجة لعباده، ولو كانوا يبحثون عن الحق لكفاهم استدلال العلماء في هذا التقسيم بما وصفه المقارنة بين هذه المراتب الثلاث وبين أركان الدين .

فالشريعة مرتبة الإسلام، والطريقة مرتبة الإيمان، والحقيقة مرتبة الإحسان، وهذه المراتب الثلاث لابد من تحقيقها في سريان الإحسان.. أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. والاعتقادُ : أن المنصفين في دوائر المعرفة سيدركون هذا التقسيم الشرعي ؛ لأنه تقسيمٌ ملائمٌ لمفهوم المعنى المراد في أركان الدين .

سنجد أنَّ ما تؤثر به المدرسة الحديثة غربية وشرقية، هو أكبر بكثير مِمَّا تُتَّهَمُ به مدرسة التصوف من تأثرها بمدارس أجنبية، بل التُّهمةُ ذاتُها صنيعةُ المدرسة الاستشراقية، ومنها تلقَّفت مدرسة النقض الحديثة فقه التهجُّم على التصوف وعلى المدرسة المذهبية .

ومع هذا كله، فالتصوفُ طريقةً ومنهجاً قد يحصل من بعض المنتسبين إليه إفراطٌ أو تفريطٌ، شأنه شأن المذهبية وغيرها من المدارس والاتجاهات إلى اليوم ؛ ولكن لا يصح بأي حال أن ننسبَ الانحراف إلى المنهج والطريقة بإفراطِ أو تفريطِ بعض المنتسبين إليها.

فالمدرسة الحنبلية مثلاً ظهر في بعض المنتسبين إليها شذوذٌ وإفراطٌ في الآراء والأحكام والعقائد ؛ إلا أن كافة علماء الملة لم ينسبوا الانحراف إلى المذهب ولا إلى المتمسكين به، بل حَجَّمُوا رجال الإفراط والتفريط في موقعهم المناسب من المذهب، ومن المنهج الإسلامي كله، بل تنسحب هذه القاعدة حتى على ما جرى من الصحابة في الصدر الأول من خلافٍ مذهبيٍّ وعقيديّ وسياسيّ .

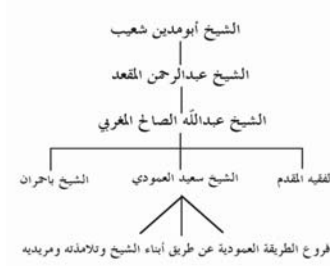
إذاً فالمدرسةُ الصوفيةُ مدرسةٌ إسلاميةُ التأصيلِ والتفريع، وأهمُّ عنايتها الأخلاق واستقامة القلوب على المنهج النبوي الخالص، وأما

علاقتها بالشريعة فهي منطويةٌ تحت آراء المذهبية، مندرجةٌ ضمن أصولها وفروعها، وأهمها في دراستنا هذه مدرسة التصوف بحضرموت، وحضرموت لم تعرف التصوف منهجاً وطريقةً إلا في القرن السابع الهجري كما أسلفنا القول، بينما عرفت أرجاء اليمن الأخرى الطريقة القادرية، وأخذت بها من قبل ذلك بسنوات كثيرة.

وكما انتشرت الطريقة القادرية في أرجاء اليمن، فقد انتشرت الطريقة الشعيبية في حضرموت منذ القرن السابع، ومن هاتين الطريقتين أو المدرستين ظهرت بقية الطرق، وتفرعت مدارس الذوق الصوفي، وكانت في ذلك العصر تمثل عنفوان المنهج ومنطلق القبول ؛ لما تحمله في مقوماتها الفكرية من حلٍّ لكثير من معضلات العصر الضاربة على الأذهان .

ولهذا نجد رجلاً مجتهداً في الأصول والحديث كالفقيه المقدم، يتحول من مرتبة المجتهد الأصولي إلى الصوفي الخمولي.. ويرضى أن يسلك بأبنائه وأتباعه من «آل البيت النبوي» ومحبيهم ومشايخ العلم طريق الفقر والتأدب بأدب الصوفية، فالمسألة تعتبر ضرورةً اجتماعيةً، والأخذ بهذا المنهج إلحاحٌ زمنيٌّ ملائمٌ لموقف الساعة

آنذاك، ولما كان الأمرُ ضرورةً مِلحَّةً وكان مطلب الحياة لا يمكن أن يستمر إلا بمثل هذا التصرف ؛ فقد كان الشيخ سعيد بن عيسى العمودي مستجيباً لهذا الظرف ومندفعاً إليه، منطوياً تحت راية المجتهد الأصولي – الفقيه المقدم – من حيث موافقةُ الاختيار والأخذ به، وأما تعبير المؤرخين بلفظ «الطريقة العمودية» فالمقصود بها سلسلةُ الأخذ التي اتصلت إلى الشيخ وصار المريدون والتلامذة ينتمون إليها.. ثم يأخذون على من جاء من بعدهم العهد والتحكيم.. ولهذا عبَّر الإمام العلامة الوجيه عبدالرحمن بن عبداللّه بلفقيه في كتابه « رفع الستار » بقوله : إن الطريقة العمودية أحد الطرق المشهورة المرضية، معدودةٌ من نحو ثلاث وعشرين طريقة، وكلُّها ترجع إلى طريقة واحدة، وهي طريقة الشيخ شعيب أبي مدين[1] .




(١) « عرائس الوجود » ص٣٤ .

## الشيخ سعيد والآخذون عنه

من وظائف الشيخ الصالح والمربي الناصح أن يتخرج على يديه رجال وأتباع، يأخذون عنه ثمرات العلم والعمل وصافي السلوك، ويجسِّدون حقيقةَ المعاني التي تتمثل في صدر الشيخ ومكنونِ وَعْيِه مما اكتسبه في حياته العلمية والعملية، ومما فتح اللّه به عليه من طول طاعاته ومجاهداته، وصدق توجُّهه إلى مولاه .

والشيخ سعيد كان من أرقى شيوخ التربية والتسليك في عصره، خاصة وأنه عاش ردحاً من الزمن وهو محتَكٌّ بالشيخ عبد اللّه الصالح المغربي، وصار من بعده مسلِّكاً مربياً للنفوس والأرواح، وقد تحدث عن نفسه بنفسه فقال : قَدَّمْتُ بيديَّ سبعةَ عشرَ شيخاً، منهم من قدَّمتُه سرّاً، ومنهم من قدَّمتُه جهراً، والتقديم معناه التخريج والتهيئة للصدارة والتدريس والقدوة الحسنة .

وقد نقل الآخذون طريق التصوف عن الشيخ سعيد طريقته إلى الآفاق، وكان من أبرزهم وأجلهم قدرا وعلما وعملا جماعة من الشيوخ، ومنهم :

(١) الشيخ محمد بن محمد بامعبد الدوعني، وكان من أخص

التلامذة المقربين إلى الشيخ سعيد، وأخذ عنه أخذاً تامّاً، وانطوى فيه وتخرج به، ونال من شيخه الرضا له بالجدارة والصدارة، وتشير التراجم أن بعض تلامذة الشيخ سعيد حصل في نفسه شيءٌ من تقديم الشيخ معبدٍ على أقرانه، فلما شعر الشيخ سعيد بذلك قال لمريديه: لا يُداخلكم منيّ شيءٌ، فإن الشيخ محمد بامعبد من البُزَّل الكُهَّل، وأنتم قعدان[1] ما تطيقون على حملِ ما يحملُه.

وتزوج الشيخ بامعبد امرأة من آل العمودي، وأنجبت له أولاداً: الغزالي وأم محمود وأم أبي القاسم وأم رقية . وذكر ذلك صاحب «أُنْسِ السالكين» ضمن ذكره لكرامةٍ من كرامات الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وعاش الشيخ بامعبد بقرية « رَضُوم » من بلاد الواحدي، ومات بها، وضريحُه معروفٌ هناك، وله ذريةٌ لا زال منها بقيةٌ إلى اليوم يُعرفون بآل معبد .

(٢) الشيخ محمد بن سالم باوزير .

(٣) الشيخ ناجة بن أمتع .

---

(١) البُزَّل الكُهَّل من الجمال : الكبيرةُ التي عركتها التجربة وتعودت على حمل الأثقال، كنايةٌ على حملِ السِّرِّ والصبر، والقعدان جمع قُعود، وهو الجمل الصغير الذي لا يزال تحت التدريب .

(٤) الشيخ باعمر صاحب بلدة عُورة[١] .

(٥) الشيخ بايزيد صاحب بلدة الخميلة .

(٦) الشيخ بابليل .

(٧) الشيخ باعشن صاحب الرباط المعروف بوادي دوعن .

(٨) الشيخ باحاج صاحب بلدة ريمة وادي عماقين .

(٩) الشيخ سليمان بامنيع صاحب بلدة الخريبة .

(١٠) الشيخ حسن بلخير صاحب بلدة حجر .

(١١) الشيخ علي والشيخ أفلح .

(١٢) المشايخ آل باحَمِيش .

كما انتفع به وأخذ عنه ولداه الإمامان الشيخان العَلَمان : جمال الدين محمد بن سعيد وعلي بن سعيد، وعنهما أخذ الطريق جملة من الأحفاد والأقارب، كمولى شعب خضم الشيخ عمر بن محمد، والشيخ عثمان بن عمر بن محمد، والشيخ محمد بن عثمان، والشيخ

(١) « عُورة » قرية بوادي دوعن بأعلا « قارة »، وهي ملك آل باصُرَّة، وكانت قبلُ بيد المشايخ آل باجعيفر، ثم صارت لقثم، ثم بعد استيلاء القعيطي على الوادي وهبها لولد باصُرَّة الذي سماه عوض باسم السلطان . انتهى عن «الشامل» ص٤٦ .

عبد اللّه بن محمد بن عثمان «صاحب ذمار»[1] ، والشيخ عثمان بن عبد اللّه، والشيخ أحمد بن محمد الملقب بالقديم، والشيخ عثمان بن أحمد، والشيخ عمر بن أحمد الملقب بالطيار، والشيخ عبد اللّه بـ ـن عمر صاحب العرض، والشيخ عمر بن أحمد بن عبد اللّه، والشيخ عبد الرحمن بن عمر، ترجم له في «النور السافر»، والشيخ عثمان بن محمد المذكور في « تاريخ بامخرمة »، والشيخ أحمد عبـ ـد الـ ـرحمن الآخذ عن الهيتمي والرملي، والشيخ عمر بن عبدالقادر الآخذ عن الإمام الحداد، والشيخ عبد اللّه بن عثمان صاحب الدوفة، والشيخ عثمان بن سعيد المقبور برباط باعشن، والشيخ عثمان بن عبدالقادر

(١) ذكر المؤرخ السيد علوي بن طاهر في « الشامل » ص١٦١ عن الشيخ صـ ـاحب ذمار ما مثاله : كان الشيخ عبد اللّه بن محمد من العلماء العـ ـاملين، ورجـ ـال الإصلاح والهمة في سبيل نصر الشريعة المحمدية، حتى إنه حمل السلاح في سبيل ذلك خلال القرن التاسع، واستولى على وادي دوعن سنة ٨٣٦، وسكن الخريبة، وأقام الشريعة وأحيا السنة وأطفأ البدعة ؛ لكن لم يوافق ذلك هـ ـوى القبائـ ـل وبعض المشايخ فحاربوه وأخرجوه، فانتقل إلى ذمار وتـ ـوفي بهـ ـا سـ ـنة ٨٤٠، وكانت مدةُ حكمه كلُّها عدلٌ واستقامةٌ، حتى إنه أخذ الزكاة الشـ ـرعية مـ ـن الأغنياء ؛ ولكن الشيخ فارس بن سليمان وأحلافه جهزوا عليه جيشاً وهـ ـاجموه سنة ٨٣٨، وحاربوا أنصاره حتى تفرقوا وانكسروا، وحاصـ ـروه في داره حـ ـتى أُخرج بأمانٍ وأُحرقتْ جميعُ كتبه . انتهى بتصرف من «الشامل» ص١٦١ .

بوادي «يبعث»، والشيخ محمد بن عبد اللّه المقبور ببلدة قيدون، والشيخ عثمان بن أحمد، ويعرف بأحمد الصغير للتمييز بينه وبين جده محمد بن عثمان بن أحمد القديم، وهو – أي: الشيخ عثمان – أول من نقل «زاوية العمودي» من قيدون إلى « بضة »، وكانت قبل ذلك بقيدون، وكان على ولايتها الشيخ عمر بن أحمد، ثم جرت أمورٌ ألجأتِ الشيخَ عمر إلى التخلي عنها ووليها بعدُ أخوه عثمان[1].

## صفات الشيخ سعيد وأخلاقه

كان رجلاً جسيماً كبيراً، أسمرَ اللون، كَثَّ اللحية، يَغشاهُ نُورُ الذِّكْرِ والعبادة، لا متكبراً ولا متجبراً، شعارُه التواضعُ والانكسار، ملازماً للعبودية والافتقار، يركبُ دابَّتَه بغير بساط، ويلبس ما يجدُه من الثياب من غير إسرافٍ ولا مَخْيَلَة، كان كريماً جواداً سخياً، ينفق ما يدخل عليه من الأموال على المستحقِّين، ويطعم الفقراء والمساكين، ويكرم الأضياف والقاصدين، كما كان ينفق على

---

(١) « الشامل » ص٦٠.

مريديه وتلامذته مما يُفيض اللّه عليه غيرَ بخيلٍ ولا مُقتِّرٍ، كما كـان كثيرَ المجاهدة في ذات اللّه تعالى، كثيرَ الذكر، طويلَ الفكر، سريعَ التَّأثُّر عند سماع آيات القرآن، مكثراً من زيارة الأولياء والصالحين، قائماً بحق الأقارب والجيران والأهلين .

أجرى اللّه على يديه من النفعِ العامِّ والخاصِّ مـا لا يُعَـدُّ ولا يُحصى، كما كانت أصابعه المباركـة بلسـماً لجـراح المرضـى والمصابين، يشفي اللّهُ بدعائه المكروبين والمصابين، كما ظهرت له من الكرامات والخوارق الشيء الكثير، وهي من أدلِّ الدلالاتِ على مقام الشيخ وعظم حاله، وصدقِ افتقاره إلى مَن يجيب المضـطر إذا دعاه ويكشف السوء .

وقد كتب بعض المؤلفين صفحاتٍ عديدةً في شرح كراماته التي أجراها اللّه على يديه، وقد تجاوزنا ذكرها في هذه الترجمة لأنها ثمرةٌ من ثمرات الأعمال وتحقق الصلة بين العبد وربه، وجعلنا جُلَّ هَمِّنا إبرازَ الأعمالِ ذاتِها، وما أقامه اللّه فيه من مظهرٍ ومقام، لأنها أساسُ التنافس، ومرتكزُ الاختيار، وسببُ القَبول عند اللّه تعالى، كما أن جيلنا المعاصر أُصيبَ بلَوثَةِ الإنكارِ لكلِّ ما خالف العقل، وذلك من كثرة ما دخل عليه من السموم والتأثيرات المتنوعة، فالعقلُ مَلَكَـةٌ

محدودةُ الأثر، قاصرةُ الاستيعاب والتَّحمُّل لو أراد المرء أن يجعلها حاكماً لكل شيء في الحياة الدينية والدنيوية، وإنما جعلت هذه الأداة بالنسبة لوجهة نظر الإسلام – التي هي مراد الخالق سبحانه – كي تؤدِّيَ وظيفتها التي خُلِقَتْ من أجلها، ومجالها المحسوسات والفهوم والاستنباطات وإعمال القوى الذهنية في معرفة ما وراء المكنونات والكائنات، أما أن يتحكم العقل في الغيب، ويجعل الأشياء الغائبة عن مَلَكَتِهِ ووعيه محالاً فذاك تطاولٌ وزيادةُ إشكالٍ .

والذي ينبغي أن يعيه جيلنا المعاصر أن الكرامةَ انفعالُ الظواهر بأمر اللّه على يد عبدٍ من عباده الصالحين، والسحر والشعوذة أيضا انفعالُ الظواهر بأمر اللّه على يد عبدٍ من عباده المستدرجين، وأن المعجزة انفعالٌ للظواهر بأمر اللّه تعالى على يد أنبيائه ورسله المكرمين، كلٌّ مرتبةٍ لها ضوابطها ودلائلها[1] ، ومن نَسَبَ شيئاً من هذه الانفعالات إلى مَن لا يستحقها فقد خرج عن مراد اللّه في عباده، وحَكَّمَ عَقْلَهُ وهواهُ فيما جاء عن اللّه وعن رسول اللّه، فليحذرِ الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذاب أليم .

---

(١) راجع « شروط الاتصاف لمن يقرأ في تراجم الأسلاف » للمؤلف، مطبوع .

## الشيخ سعيد والعلوم الدينية

درج العلماء الأثبات على تقسيم العلم إلى قسمين : علمٍ كسبيٍّ وعلمٍ وهبيٍّ، **فالعلمُ الكسبيُّ** هو ما حصَّله المرء بجهدٍ ذاتيٍّ وإعمالٍ تامٍّ للجوارح خلال مراحل طلبه ومجالسته للعلماء والشيوخ، وقراءاته ومطالعاته، ومجموع تجربته الواعية في الحياة .

وأما **العلم الوهبي** فهو كل ما يمنحه اللّه للعبد من مفهوم الحكمة خلال تَرَقِّيه في طلب العلم، أو خلال سيره إلى ربه متدرجاً في الطاعات والأعمال الصالحات، حيث إنّ لكل طاعةٍ ثمرةٌ، ولكل ثمرةٍ ذوقٌ، وأكثر ما يفسد ثمرات الطاعات المعاصي، وإذا فسدت الثمرةُ فَسَدَ الذوق، وبقيت الطاعة كشجرةٍ بلا ثمرة، والذين صدقوا في الطاعة للّه منحهم اللّه الثمرة، ونَوَّعَ لهم ذوقَها، ووجدوا من الذوق مقاماً إيمانياً، فيقول : « ذاق طعمَ الإيمان من رضيَ باللّه رَبّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم نبياً ورسولا » .
ومن ذاق طعم الإيمان أجرى اللّه على لسانه آثارَ هذا الطعم حكمةً وعلماً، قال اللّه تعالى : ﴿ واتَّقُوا اللّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾، وهذا هو مجال حديثنا عن الشيخ سعيد رحمه اللّه .

فالشيخ سعيد بن عيسى العمودي كما تصفه كتب التراجم كان أُمِّيّاً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، والأمية عِلَّةٌ قادحةٌ في المرء ؛ إلا أن أُمِّيَّةَ رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لها مدلولٌ خاصٌّ ؛ ولكنا عندما نعالج أمية الشيخ سعيد، نجد أنه ليس بالأُمِّيِّ الذي يعرفه الناس، وأن الذين يصِرُّون على أميته بمفهوم الجهل يبالغون كثيراً في ذلك، فالشيخ سعيد عاش ردحاً من عمره بين المتعلم والعلم، وكانت مدينتُه قيدون وما جاورها مكاناً خاصاً للعلم والعلماء، إلا أنه لم يتدرج في الأخذ والطلب كما هو حال الطلاب والمريدين، بل كان يكتفي بالسماع والمجالسة، والسماع والمجالسة نوع من أنواع التعلم، وقد أُثر بحضرموت أنَّ هناك مَن حفظ القرآن ليس بقصد الحفظ وإنما لكثرة سماعه وحضوره مع القراءة، وهذا ليس مستحيلاً، إضافة إلى أن أعمال الطاعات والعبادات وما يشترط لها من الأركان والواجبات والسنن وغير ذلك كان العلماء ليلاً ونهاراً يفَقِّهُون الناس فيها، دون الحاجة للبحث أو الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ في سبيلِ تحصيلِ ذلك، فالشيخ سعيد بن عيسى العمودي أُمِّيٌّ من حيث التَّدَرُّجُ في طلب العلم على يد العلماء آنذاك، عالِمٌ بكل ما يلزم علمه من الدين، إلا أنه آثر الخمول

والعزلة والبعد عن نشاط الحياة الفكرية، ومن خلال هذا الخمول كان يتعلم ويستفيد ويزداد نوراً على نورٍ، وقد بَرَزَ هذا النورُ جليّاً عندما قدح علمُ التصوف في ذهنه قوادحَ الحكمة، وبرز إماماً وشيخاً، ومسلِّكاً ومربِّياً، وصدرتْ عن لسانه عبارات الذوق والحكمة وهو يطوي تلاميذه على طريق العلم والعمل، فاقرأ ما يقول :

ليس لأحد من المشايخ فضلٌ إذا أحبَّ أن يُحمد بما يفعله من المعروف إلى فقرائه، إنَّ فقراءه كأولاده، فليس يُحمد من فعله في الأباعد من الناس. ويقول رحمه اللّه : لا يصحبنَّ أحدُكم المشؤومَ وإن أركبه .

ويقول في مجال الحديث عن البركة بالعلم والعمل : الثمرُ كثيرٌ والحصادُ قليلٌ . ولما سئل عن شروط الشيخ المربي أجاب بقوله : أن يكون جوَّالَ الفكر، جوهريَّ الذِّكر، قليلَ المنازعة، كريمَ المراجعة، عظيماً حِلْمُه، كثيراً عِلمُه، أوسعَ الناسِ صدراً، وأذلَّهم نفْساً، ضَحِكُهُ تَبَسُّما، واستفهامُه تعلُّما، مذكِّراً للغافل، معلِّماً للجاهل، لا يَشْمَتُ بمصيبة، لا يجهلُ بمن جَهِلَ عليه، مسروراً بمن أتى إليه، آنساً للغريب، عوناً للمسلمين في كل أمرٍ تَعِيب، أباً لليتيم، ومعيناً

للضعفاء والمساكين، حزنُه في قلبه، مسروراً بربه، مستوحشاً من أهل الدنيا، لا يبخَل ولا يَعْجَل، ولا يضحك لما ينتصر، ولا يغتاظ على من يؤذيه، بل يعفو ويصفح، ولا يخوض فيما لا يعنيه، وإن شُتِمَ لا يَشتُم، وإن سُئِلَ لا يمنع، وإن مُنِعَ لا يغضب، أَلْيَنَ من الزُّبَد، وأحلَى من الشَّهد، قريباً من الخير وأهله، بعيداً عن الشر وأهله، غَضَبُه بحُكْمِ عَدْلِه .

ويقول أيضاً : لا يكون الشيخ شيخاً حتى يكون عالماً بأصول الدين وفروعه، فالأصولُ سبعةٌ والفروعُ سبعون .

ولما سأله الشيخ أحمد ابن أبي الجَعْدِ عن طريق الصوفية أجاب بقوله : طريق الصوفية طريقُ محققِّين، وطريقُ مجتهدين ؛ فأما **طريقُ المحققين** فهَجْرُ الخلائق، وقَطْعُ العلائق، والاجتهادُ في خدمة المَلِكِ الخالق . وأما **طريق المجتهدين** فالصيامُ والقيامُ وتركُ الآثام[1] .

وأجاب أيضاً على سؤالٍ آخرَ لابن أبي الجَعْد، عندما سأله عن صفات الفقير الصابر، فقال : أن يلبس مدرعة من البلاء، ودلقا من

---

(١) قال مؤلف « عرائس الوجود » : وقد شرح هذه المقالة الفقيه الإمام عبدالله بازرعة في رسالة وبين شيئاً من معناها .

العزة، ورداءً من الخشوع، وسراويل من العفاف، ولحافاً من الحياء، وجُبَّةً من المراقبة، وعكازاً من التوكل، ومشعلاً من الإيثار، ونعلاً من الصبر، وسواكاً من القناعة، ولْيَتَّخِذْ زاويةً من العلم، وشراباً من المعرفة، فإذا وقف بباب المعرفة ووقف بباب المَلِك القُدُّوس انتهى، فإذا انتهى أُعْطِيَ صفاتٍ غريبةً يُعرف بها، فإذا عُرِفَ بها كان أَرَقَّ من الماء، وأعلى من السماء، فيكون جانبه أخصبَ وهمَّتُهُ أقطعَ من السَّيف، وكلامُه مجانباً للحَيف، مَثَلُه مَثَلُ البحر يَغْسِلُ فيه الغاسل، ويأكل من سمكه الآكِل، الداخلُ فيه مستريح من تعب المسافة، وينجِّيه من المخافة، إن قال صدق، وإن قيل له صَدَّق، ويُنصف من نفسه، ولا ينتصف لها، أيُّ شيءٍ رَزَقَه اللّهُ رَضِيَ به واكتفى، لا يظلم أحداً من خلق اللّه تعالى، وإن ظَلَمَ صبر وعفى، أولئك الَّذين هداهم اللّه وأولئك هم المفلحون . انتهى[١] .

(١) المصدر السابق ٢٥٠-٢٥١ .

# آثار الشيخ سعيد العمودي

ترك الشيخ سعيد بن عيسى العمودي آثاراً علميةً واضحةً في كثيرٍ من بلاد حضرموت وبقية مناطق اليمن وشرق إفريقيا وإندونيسيا وغيرها من البلاد، مَثَلُه كمَثَل آثار السادة بني علوي، حيث كانت طريقة الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى طريقاً ذاتَ هدف وغايةٍ واحدة، ولذلك انتشرت آثارهما في وقتٍ واحدٍ تقريباً وتوزَّعَ تلامذتُهما وأتباعهما سويّاً في أنحاء المعمورة، فما مِن مظهرٍ من المظاهر الروحية للسادة بني علوي إلا وتجد له رافداً وسنداً من مظاهر الشيخ آل العمودي، وقد يزداد نفوذ المشايخ آل العمودي في بعض المناطق ويبرز متفرداً في نشر الدعوة والعلم وإصلاح ذات البين .

فعلى سبيل المثال – لا الحصر – نجد نفوذ آل العمودي في وداي دوعن منذ حياة الشيخ سعيد ثم في حياة أولاده وأحفاده قويّاً هَيَّأَ لهم في بعض المراحل إقامة الدولة والسلطة الدينية والدنيوية .

كما أن للشيخ سعيد في وادي حَجر وما حولها من القرى المآثرَ الكبيرةَ، وأهمُّها بناء المساجد، فما من مسجدٍ بتلك الأصقاع إلا

ونُسِبَ للعموديّ وأبنائه، وللشيخ سعيد أيضـا في وادي حجـر عائداتٌ وصدقاتٌ جرت بها العادة منذ القرون القديمة، وذلك لَمَّا شكى إليه أهل تلك النواحي عَبَثَ الجانِّ بنخلهم وثمرهم، فدعا لهم بالحفظ وأَلْزَمَهُمْ إخراجَ صدقاتٍ من نخلهم للفقـراء والمسـاكين، فبقيت هذه العادة مستمرةً في وادي حجر حتى حصول التحولات الاجتماعية خلال مرحلة الثورة.

وفي بلاد العوالق السفلى توجدُ آثارٌ كثيرةٌ للشيخ سعيد العمودي وأولاده، فهناك عددٌ من المساجد منها مسجد المساني ومسجد لكح ومسجد الشيخ سعيد بأحور، كلها تنسب للشيخ سعيد عندما زار أحور في القرن السابع الهجري، ويذكر الرواة أن أحد أحفاد الشيخ سعيد بن عيسى زار أحور ورأى انتشار القطيـب والجـذري في الأهالي حتى فتك بالكثير من الناس، فدعاهم إلى جمـع أولادهـم وبناتهم والخروج بهم في المدينة يدورون في شوارعها قائلين: «شي للّه شي للّه شوي للّه يالعمودي»، ودعا الناس أن يتصدق بعضـهم على بعض بما تيسَّر، فصارت عادةً في أحور تقام في النصف مـن شعبان، وبرزتْ مظهراً من مظاهر البلاد وشابَتْها فيما بعدُ شوائبُ سيئةٌ منها اختلاطُ الرجال بالنساء في المنازل والطرقات، ولـذلك

شدَّد النكير عليها سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور عام حلوله بأحور ١٣٦٢، وطلب من السلطان عيدروس بن علي العولقي إيقافها فأُوقفتْ عاماً أو عامين ؛ ولكن الأمراض الفتاكة عادت إلى البلاد من جديد فأجاز لهما الوالد عليه إعادتها بشرط أن تقتصر على الصغار والبنين والبنات فقط، واستمرت هذه العادة إلى اليوم وتعرف «بالشُّوَيْلِلاّه»[1] .

كما أن من آثار الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بالعوالق انتشارُ بعوثٍ عديدةٍ من ذريته، ولا زال منهم الكثير في القرى الساحلية من أحور كالبندر والمساني وحناذ وأحور وغيرها، وكانت لهم عاداتٌ ومقاماتٌ وترتيبُ عباداتٍ تشبه نظامَ قيدون وبضة وبقية حضرموت ؛ ولكنها زالت بزوالِ رجالها ومشايخها وتأثُّرِ الأبناء بعجلة الزمان والتعليم . ومن آل العمودي مَن ضَرَبَ في أكناف الأرض باحثاً عن الرزق، فسافر العديد منهم إلى الحجاز وإندونيسيا وإفريقيا والهند وغيرها، وظهر منهم التجار والأثرياء الذين ساهموا في حركة التجارة

---

(١) تحدثنا عن أصل هذه العادة في فصل خاص من كتاب « الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور »، وهو تحت الطباعة، وكذلك في كتاب «قبسات النور في ترجمة سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور »، مطبوع، وكلاهما لكاتب الترجمة .

والمال في تلك البلدان، ومنهم من عمر بعض المنازل في بلاده وساهموا في إعمار مسجد جدهم الشيخ سعيد بن عيسى العمودي .

ولا تزال الآثار الكتابيةُ مفقودةً أو مُودَعَةً في منازل المشايخ آل العمودي الذين ضربوا في أكناف الأرض وتركوا خزائن كتبهم في منازلهم القديمة بدوعن، وقد شاهدتُ العديدَ من المكتبات في دوعن الأيمن والأيسر مغلقةً منذ عشرات السنين، ولا يُعلم حالُ محتوياتها الكتابية وكنوزها المعرفية إلى اليوم، والخشية كل الخشية من ذهاب هذه الآثار إما بالتَّلَفِ والبِلَى أو بتغيُّر أحوال الأحفاد وتبدُّل مفاهيمهم العلمية، بحيث يُضْطَرُّ بعضهم إلى أن يتخلص من كتب أهله بالإحراق والإبادة كما هو حال البعض اليوم، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

## انتقاله رحمه الله إلى الدار الآخرة

عاش الشيخ سعيد حياةً مليئةً بالنفع والإفادة والإصلاح بين الناس، مرشداً للحاضر والباد، سالكاً بهم مسلك الرشاد، مع طولِ

تَفَكُّرٍ وتَعَبُّدٍ للّه، وتَذَوُّقٍ وتَشَوُّقٍ ومحبةٍ لمولاه، وكان كثيراً ما يستشهد في أخريات حياته بأبياتِ رابعة العدوية :

يا قريباً مِنَ الفؤادْ　　يا بعيداً عن النَّظَرْ
أنتَ عَذَّبْتَ مُهجتي　　أنت كَلَّفْتَني السَّهَرْ
هكذا يا مُعَذِّبي　　مَن بُلي بالهوى صَبَرْ
ليس مَن يَكْتُمُ الهَوَى　　مِثْلُ مَن باح واشتهرْ

وكانت وفاته رحمه اللّه سنة ٦٧١ هـ ، ودفن بمدينة قيدون، وقبره بها مشهور، ومسجده هناك إلى اليوم معمور، رحمه اللّه رحمة الأبرار، ونفعنا بعلومه في الدارين، آمين .

## حفظ بني علوي الود لآل العمودي

حفظ السادةُ بنو علوي وذراريهم للشيخ سعيد بن عيسى العمودي ذلك الوُدَّ الذي نشأ على عصر الفقيه المقدم، ويمثِّلُ هذا الحفظُ المتسلسلُ في الأحفاد والأسباط في زياراتهم المتكررة إلى قيدون لنشر العلم، ولزيارة الشيخ سعيد، ولتمكين هذه العلاقة بين

آل البيت والمشايخ الكرام، وكذلك ظهر حفاظ هذا الود، فمـ ـن ذلك قول الشيخ عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر :

والشيخ سعيد قد أسقي عند النبي هود    وتسمى بالعمود

ولما زار السيد جعفر بن أحمد زين الحبشي المذكور مدينة قيدون ومشاهدها وزار قبر الشيخ سعيد ألقى قصيدته الشعرية التي جـ ـاء فيها :

فإذا ما بَدَتْ لـ ـكَ اعـ ـلامُ وادٍ    يُدعَ قيـ ـدون فـ ـأنِخْ بفناهـ ـا

زُرْ لعالي العُلَى سعيدِ بنِ عيسى    فهناك القلوبُ تُعْطَـ ـى مُناهـ ـا

الإمامُ الهُمامُ مَن قـ ـد تَسـ ـامَى    في ذُرَى المجدِ وارتقى لعلاهـ ـا

فيه مخزونُ سِـ ـرِّنا آلِ عَلْـ ـوِي    أخبرتْنا بذا الثِّقـ ـاتُ شِـ ـفاها

إلى آخر القصيدة التي وصف بها الشيخ سعيد وتوسل به .

ولا زال العلماء والصلحاء من آل البيت ومن المشايخ والمحـ ـبين من كافة القبائل والفئات الاجتماعية يذكرون هذه الصلة الروحية العميقة، ويجدون نَفَسَها في ما بقي من الآثار والمشاهد والصلات .

ونختتم هذه الترجمة بقول الشيخ سعيد بن سـ ـالم الشَّـ ـوَّاف في الشيخ سعيد ضمن قصيدته الطويلة المعروفة بـ «قصعة العسـ ـل في

مدح أهل اللّه عز وجل» حيث وصفه بقوله :

ف ـ أولهم السـ ـيد الهـ ـول　　　بالحـ ـال أيضـ ـا وبـ ـالقول
مالـ ـه مثـ ـل في السـ ـادات　　　آياتـ ـه اعظـ ـم آيـ ـات
سيدي بـ ـن عيسـ ى يـ ذكر　　　في البحـ ـر أيضـ ـا والـ ـبر
ذاك العمـ ـودي المشـ ـهار　　　حـ ـتى الفـ ـرنج الكفـ ـار
الشـ ـيخ مـ ـولى قيـ ـدون　　　للخلـ ـق مـ ـره يـ ـردون
وآل العمـ ـودي مـ ـره　　　وأهـ ـل العـ ـلا والفخـ ـره
سيدي العمـ ودي بـ ـالطول　　　غـ ـوث المـ ـلا شـ ـي للّـ ـه
لـ ـه في السـ ـما رايـ ـات　　　يفـ ـرق لهـ ـا امـ ـلاك اللّـ ـه
لـ ـه شـ ـأن عـ ـالي يشـ ـهر　　　مشـ ـهور شـ ـاهره اللّـ ـه
يعرفـ ـه مـ ـن في الأقطـ ـار　　　تخضـ ـع لـ ـه شـ ـي للّـ ـه
بحـ ـر الفـ ـرات وسـ ـيحون　　　فائض علـ ى خلـ ق اللّـ ـه
سادة مـ ـن اهـ ـل الشـ ـهرة　　　أصـ ـلحهم الـ ـرب اللّـ ـه

وكذلك يقول الشيخ عبد اللّه باسودان رحمه اللّه :

كـ ـالعمودِي الـ ـذي غَـ ـدا　　　سَـ ـعْدُهُ في المـ ـلا بَـ ـدرْ
لاحظتْـ ـهُ عنايـ ـةُ اللَّـ ..　　　ـ ـهِ في حالَـ ـةِ الصِّـ ـغَرْ
وتَرَقَّـ ـ ـى إلى العُـ ـ ـلا　　　لمقـ ـامٍ بـ ـهِ افتَخَـ ـرْ

ولـ ـهُ حَضْـ ـرَةٌ بهـ ـا نـ ـورُه ضـ ـاءَ كـ ـالقمرْ
وعليهـ ـ ـا جَلالَـ ـ ـةٌ تُلْبِسُ الحـ ـالَ مَـ ـن حَضَـ ـرْ

## سلالات آل العمودي وتفرقهم في البلدان

ظهرت منذ القرن السابع الهجري لأسرة المشايخ آل العمـ ـودي مكانةٌ اجتماعيةٌ وصَولةٌ وسلطنةٌ في وادي حضرموت وما جاورها من الأودية والبلدان، وكان أساس هذا النفوذ وقاعدته مظهرَ الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، المظهر الذي رسخه الشيخ سعيد مجاوراً ومساعداً ومسانداً لمظهر وأثر الفقيه المقدم، وبهذا النفوذ الروحـ ـي والموقف الاجتماعي الديني انتشر المنهج الصوفي المتميز، وظهـ ـرت المدرسة العلوية، والطريقة العمودية، في كافة المـ ـدارس والزوايـ ـا والمساجد، متمثلةً في أساليبها الخاصة، ووسائلها المألوفة، ومنها:

(١) نظام الحلقات العلمية لدراسة المذهب الشافعي وقراءة كتب الذوق.

(٢) إقامة الحضرات والأذكار والموالد .

(٣) الاهتمام بالمجاهدة للنفس من خلال الأخـ ـذ بـ ـالعزائم في الشرع .

(٤) تصفية النفس عن كدوراتها بالآداب والأخلاق والتواضع .

(٥) إشاعة مبدأ حسن الظن في الجميع .

(٦) إشاعة مبدأ التنافس في أعمال الخير والطاعات .

ومن خلال هذه المبادئ والأعمال الصالحة سَرَى أَثَرُ الطريق إلى كافة الفئات الاجتماعية، وبلغ إلى مستوى التأثير على حملة السلاح والحكام والظلمة، ومن أسرار هذا المبدأ أيضا تَمَكُّنُ شيوخِ الطريق في حضرموت ونواحيها من بسط نفوذِهم الروحيِّ على القبائل، مما ساهم في حفظ كرامة المسافرين من السلب والنهب، وأسهم أيضا في إقامة وتشييد « الحُوَط » الآمنة التي يحرُم فيها الاعتداء على الآمنين فيها ولو كانوا من الأعداء الأَلِدّاء، وأسهم هذا في تحريك الأسواق وانتشار التجارة، وتهيئة مصالح الناس دون خوف ولا فزع.

وقام الشيوخ أيضا بأخذ العهود على القبائل من جهة، وعلى الحكام من جهة أخرى، لما فيه من مصلحة الجميع من الرعايا، مثل تأمين المسالك وفض النزاعات، وحفظ الأموال وحراسة الممتلكات، وسَرَى سِرُّ هذا القانونِ الروحيِّ في كثيرٍ من بلاد اليمن، وتهيأ بهذا القانون تَنَقُّلُ المسافرين، وتحول العلماء والمشايخ والدعاة من بلد إلى بلد دون خوف، بل صار لآل العمودي في

وادي دوعن ووادي حجر وبلاد العوالق وغيرها من البلاد التي نزلوا بها مقامٌ اجتماعيٌّ مرموقٌ، وصاروا يُؤَدُّون وظيفةَ العلم، وحفظَ الأمن، مثل إخوانهم في طريق السادة بن علوي، متوارثين هذه المقامات والمراتب، جيلاً بعد جيلٍ، حتى ظهور العصر الحديث، ودخول البلاد ضمن معاهدات الحماية، وبها بدأ العد التنازلي لأثر هذه المقامات الروحية شيئاً فشيئاً إلى اليوم .

## الخاتمة

إن إهمالَنا لتاريخنا الذاتيِّ، والاستعاضةَ عنه بتقديس الواقع، والتغنيَ بشخوصه وطقوسه ؛ قد أورَثَنا الذُّلَّ والوَهَن، وجعل منّا – ونحن أمةُ تاريخٍ وسلالةُ فضلٍ وعلمٍ – جعل منا دُمًى تَرْقُدُ في ميدان العرض والطلب، تُنَفِّذُ مصالح الحاقدين على كُلِّ سلالةٍ صالحة، ونرضى بذَرِّ الرماد على عيوننا، وقد ذُرَّ الرمادُ على العيون حتى بلغ أثرُه القلوب، وانتقل أجيالُ هذه السلالات من مستوى الاهتمام بتاريخهم إلى محاكمته ونقدِه والطعنِ في الآباء الصالحين والأجداد المتقين .

وكثيرٌ منهم لا يدري لمصلحة من هذه الأفاعيل، ولا يفرق بين الحق المطموس وبين واقع الأضاليل؛ لكن إلى متى يا قوم ؟ متى نعرف المستثمر الحقيقي لتُرَّهات النقض والقبض ؟ ومتى نفهم المعنى من المثل القائل : « رَحِمَ اللّهُ امْرَءً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِه » .

# الفهرس